الفصل الثاني

قصة موسى:

النصوص السابقة هي بمثابة مقدمة لقصة موسى.

لاوي هو ابن يعقوب واللاويون هم المنحدرين من نسل لاوي. اللاويون هم من القبائل التي كانت تذهب الى مصر وتقيم فيها. أبناء لاوي لديهم دور مهم في تاريخ الشعب اليهودي، وموكل إليهم خدمة الهيكل.

قصة موسى ليست فريدة من نوعها. فالشعب الأكادي كان لديه سلسلة ملوك لديهم قصة مشابهة. الملك سرجون الثاني مثلاً تركته أمه عندما كان صغيراً لأنها حبلت به من دون زواج، فوضعته في سلة. لقيه بستاني الملك ورباه وعلّمه صنعته الى أن أصبح هو بستانياً على حديقة الملك وأقام ثورة على الملك وأخذ الحكم منه.

السلّة:

الكلمة العبرانية نفسها تستعمل للتكلّم عن: السلة، تابوت العهد وسفينة نوح.

عهد الله وبركته لا زالا مستمرين فكما تدخل الله في حياة نوح وخلّصه من الطوفان للحفاظ على ديمومة الجنس البشري، كذلك تدخل في حياة موسى بشكلٍ خفي وخلّصه لأجل ديمومة شعب الله المُختار.

والدي موسى ليس لديهما اسم لأن دورهما غير مهم في تاريخ الخلاص بل يقتصر فقط على ربط موسى بلاوي، فنجد هنا أثرا للتقليد الكهنوتي الذي يهمه أن يكون موسى من نسل لاوي.

كان موسى مهددا بِالقَتل كَسائر أولاد العبرانيين، فَوضعته والدته في سلّة من قَصب على حافة نهر النيل وهو نفس المكان حيث أمر فرعون يرمي أطفال العبرانيين، فرأته بنت فرعون وانتشلته من النهر: إذًا من الموت أصبح لدينا خلاص. من الممكن أنّ ابنة فرعون قد ذهبت إلى النهر ليس فقط لتغتسل بل للقيام بعمل طقسي في عبادة إله النيل (هابي Ha’pi) كما هي عادة المصريين. وقد يكون أنها ظنت في بادئ الأمر أنّ السلّة تحوي على تمثال للإله، إذ كانت العادة أن توضع هكذا تماثيل في سلال على ضفّة النهر؛ وعند رؤيتها الطفل، وعرفت أنه عبراني، تحننت عليه وتبنته معتبرةً إياه هبة من الإله الذي تعبده. إبنة فرعون التي وجدت موسى أعطته للعبرانيات لتربيته، لهذا السبب يتكلّم موسى اللغة العبرانية بالاضافة الى اللغة المصرية. رأى بعض المفسرين في هذا التصرف أن هذه الابنة كانت على خلاف مع والدها لذلك أخذت ولد عبراني لتربيته إغاظة والدها. لكن هذا التفسير بالنسبة لي بعيد

بعض الشيء، فمن المستبعد أن تلجأ إحدى بنات فرعون (وليس احدى زوجاته) الذي كان له العديد من الزوجات وبالتالي العديد من البنين الى مخالفة أوامر والدها. بالأحرى المقصود هنا إدخال موسى الى البلاط المصري لتهيئته ليلعب دور الوسيط بين فرعون والشعب. وبالطبع استفاد منه فرعون، كما قلنا في المقدمة، ليكون صلة وصلٍ في المفاوضات مع القبائل العبرانية.

إسم موسى

سمت إبنة فرعون الطفل موسى. يقول كاتب سفر الخروج لأنها انتشلته من الماء؛ أما أصل إسم موسى فهو مصري وليس عبراني خصوصا أنّ ابنة فرعون لا تتكلّم العبرية. إسم موسى باللغة المصرية يعني "إبن" كما في رعمسيس: إبن الاله رع. إذًا أصبح مركزه مرموقًا فهو إبن فرعون، وهو في الوقت عينه ابن الإله. ولكن إذا توقّفنا على الأحداث المتتابعة نجد أنه فعلاً ابن الإله الخفي الذي لم يعرف حضوره حتى الآن، إذ هو خلّصه من الموت وأسلمه إلى بيت فرعون ليصبح لاحقًا قائدا لشعب الله و "إلهًا لفرعون".

الآيات ١١-١٥.

"ولما كبر موسى"

في خطبة إستفانوس أع٧ -٢٣ يقول إستفانوس: "عندما بلغ موسى الأربعين، خطر له أن يتفقّد إخوانه بني إسرائيل".

أوجه شبه عديدة تربط حياة يسوع بحياة موسى. أما في الطفولة فيتشباهان في:

- ✓ لا نعرف شيئًا عن حياة موسى منذ أن أخذته أمه لتربيه إلى أن كبر وأخذَته إبنة فرعون. كذلك لا نعرف شيئًا عن حياة يسوع الممتدة من تقدمته إلى الهيكل بعمر ٤٠ يوما، ولغاية بلوغه سن ال ١٢.
- ✓ لا يذكر الكتاب المقدس شيئًا عن حياة موسى بعد أن أخذته إبنة فرعون إلى أن أصبح يتدخل بتاريخ الخَلاص (٤٠ سنة حسب التقليد)؛ كما لا نملك أي معلومات عن حياة يسوع بعد وجوده في الهيكل حتى بدأ حياته العلنية (٣٠ سنة حسب التقليد).

إذًا كاتب العهد الجديد يريد أن يؤكّد أنّ يسوع هو موسى الجديد الذي كان ينتظره الشعب اليهودي والذي وعد به موسى بنفسه (تث ١٥/١٨).

"خرج إلى إخوته"

موسى، الرجل الذي تربى في قصر فرعون ،في الجَاه والعز ، قد رأى عذاب شعبِه، رأى ما لا يراه عادةً شخصٌ بِمقَامه. لم ير عظمة التقدم والمدنية الذي امتازت به مصر في تلك الأيام، بل رأى الظلم وأثقال شعبه. بدأ موسى يتميز عن فرعون وشعب البلاط.

"ورأى رجلاً مصريا يضرب رجلاً عبرانيا من إخوته"

كان المصريون من خلال السخرة يستغلّون العبرانيين ويتسلطون عليهم وبالتالي كانوا يضربونهم لحثهم على العمل، هذا يذَكرنا في العهد الجديد بِمثَلٍ قالَه يسوع عن الخادم الامين الصالح الذي يضعه سيده مسؤولاً عن إخوته.

"فَالتفَت إلى هنا وهناك فلم ير أحدا فقتل المصري وطمره في الرمل"

كلمة يضرب في اللغة العبرانية هي "نكَه" ومعناها ضرب بِقُوة أو قتل؛ إذًا المصري كان "يقتل" العبراني (نكَه)؛ أيضا إستعملَ نفس الفعل بين موسى والمَصري وهذا يعني أنّ موسى لَم يرِدْ بالضرورة قتل المصري بل ثنيه عن ضرب العبرانيّ وهذا أدى إلى موته.

"فَرأى رجلين عبرانيين يتخاصمان"

فعل يتخاصمان في اللغة العبرانية معناه أيضا "نكَه".

موسى أمام المَشكل مع المصري قد ضرب المصري أما مع العبراني فقد أوقف الصراع. هناك تمييز بين المصري والعبراني لأن العبراني هو قريب لموسى.

في سفرِ الخُروج، القَريب هو فقط الاسرائيلي. ووصية محبة القريب كانت تقتصر على القريب اليهودي لذلك عندما سئلَ يسوع في الإنجيل من هو قَريبي؟ أعطاهم يسوع مثَل السامري عدو الاسرائيلي لكي يبين أنّ القريب الفعلي هو كلّ إنسان.

"من أقامك رئيسا وحاكما علينا؟"

حاكما بمعنى قاضيا، وظيفة القاضي هي أن يحكُم بِالعدل. هنا نتحدث عن مجتمع منظم، عن سلطان للقاضي. موسى لديه هذا السلطان لأنه تربى في قَصر فرعون، لكن العبرانيين لا يعترِفون بِسلطَته لأنه ليس من المُسخرين وليس مسؤولاً عنهما.

في هذا النص لدينا عدة تقاليد متداخلَة، التقليدين اليهوي والايلوهيمي: موسى الذي ربته إبنة فرعون وأصبح من السلالة الملكية لا يمكن أن يخاف من فرعون لأنه قَتل مصريا. من الأرجح أنّ هذا النص

كتب قبل أن يتم الإخراج النهائي لنص سفر الخروج بهذه الطريقة؛ وكاتب هذه القصة لم يطّلعْ على قصة طفولة موسى وتربيته لدى فرعون.

"هرب موسى من وجه فرعون إلى أرض مديان"

مديان هي قَبائل بدو تتنقل في شمال إسرائيل، في شبه الجزيرة العربية وقرب مصر وهؤلاء القَبائل هم خارج سلطة فرعون. مديان هو أيضا إبن إبراهيم، وبالتالي هناك صلة دم بين مديان وموسى أساسها ابراهيم. لقد بدأنا نعود إلى أصلِ السلالة، إلى ابراهيم الذي قَطَع الله معه عهدا، هذا العهد الذي كان منسِيا حتى الآن.

موسى الذي كان رجلاً مهما في بلاط فرعون وفي المجتمع هرب والتجأ لدى قبيلة: فقد إنتقل من الحضارة إلى عدم الحَضارة.

"وقعد عند البئر"

في سفر التكوين، خادم إبراهيم الموكل بأن يأخذ امرأة لإسحق، إلتقَى برفقة عند البئر؛ ويعقوب إلتقى أيضا براحيل عند البِئر.كان البِئر يعني كثيرا لتلك القبائل التي كانت تربي المواشي، كان شغلهم الشاغل البحث عن الماء وكانوا ينتقلون من بئر إلى بئر. إذًا بقاء موسى قرب البئر هو أمر طبيعي لأنه هناك كانت تقوم أهم العلاقات الإجتماعية؛ ولا بد أن نتوقّع عند البئر لقاءًا بين موسى وإحدى الفتيات ينتهي بزواجه منها.

الآيات ١٦-٢٢

"وكان لكاهن مديان سبع بنات"

كاهن مديان هو شخص لديه مكانة في تلك المنطقة وعلى الارجح إنه شيخ القبيلة، وهو الشخص الذي يقدم الذَبائح للآلهة؛ إذ كانت العادة أنّ شيخ القبيلة هو رئيسها وفي الوقت عينه كاهنها يقوم بالاحتفالات الطقسية والذبائح لإله القبيلة.

كانت القبائل تهتم بِتربية المواشي. وكان مصدر رزقهم الصفقات التجارية مع مصر والكنعانيين والمدن الكبيرة بالإضافة إلى ما كانوا يغنمون من السطو على القوافل. كانت النِساء ترعى المواشي وتسقيهم، مما يعني أنّ الرجال كانوا يقومون بتبادل تجاري ما (أو يسطون على قافلة). وبما أن الماء هو مصدر الحياة فمن الطبيعي أن تحدث المشاكل بسببه.

موسى كان يتقن فَن القتال يحكم إقامته في مصر.

قالت الفتيات لأبيهن إن الرجل مصري فمن المحتمل أن لباس موسى أو لهجته قد دلّتا على أنه مصري، والقبيلة العبرانية التي أرادت سرقة المياه قد ظنّت بأن موسى مصري فخافت منه معتقدةً وجود جنود وراءه.

"قام موسى وأنجَدهن"

فعل أنجَد معناه "نتش" أو أخذ بالقوة وبسرعة؛ وهذا الفعل يرد كثيرا في سفر الخروج وفي سفر تثنية الاشتراع، كيف أن الله خلص شعبه من أيدي المصريين فتدخل بِقوة وبسرعة. تدخل موسى مع الفتيات هو مقدمة لتدخل الله السريع لنجدة شعبِه. من هنا نفهم أن عدد البنات السبع يرمز إلى كمال العمل الالهي، فالله يعمل في الخَفاء من خلال ممثله موسى مع أن موسى لم يتعرف بعد إلى الله. هذا النص يحضرنا للقاء موسى بالله.

إسم الاب هو يترو (أو يثرون) ومعناه العظيم، تقليد آخر يسميه رعوئيل (معناه صديق الله)، وهو من منطقة مديان. في سفر القضاة يقولون عنه إنه قيني. إنّ هذا الاختلاف في الإسم يعود على الأرجح إلى تعدد التقاليد التي تكون سفر الخروج. تعجب يترو من سرعة عودة بناته مما يعني أنها ليست المَرة الاولى التي تحدث فيها المَشاكل بين الفتيات والرعاة إنما هي المرة الاولى التي يتدخل بها أحدهم لتخليصهن.

الماء هي علامة الخدمة، فقد سقى موسى الفتيات مع المَواشي وهو لم يكن راعيا بل قائدا عسكريا، فنحن نشهد تغييرا في نمط حياة موسى وتغييرا في دعوته لكن ما زِلنا في المرحلة الانتقالية، يعيش موسى صراع بين القَديم والجَديد. فهو قد تخلّى عن حياته في قصر فرعون، لا بل هرب من وجهه، أما بالنسبة إلى الرعاة والفتيات فهو ما زال "رجلٌ مصري". واجِب الضيافة في تلك الايام يقتضي أن تتم دعوة موسى فورا إلى بيت يترو، لكن بناته خفن من دعوته إذ لا سلطان لهن في البيت بل وجب أن يسمح والدهن بذلك قبل أن يقدمن على هذا النوع من الدعوة.

"ليأكل طعاما"

الترجمة الصحيحة هي خبزا؛ ورمزية الخُبز مهمة جِدا. في سفر التكوين الفصل ٣١، ٤٥ يذكُر كَسر الخُبز عندما دعا يعقوب إخوته وكَسر الخبز معهم وقَدموه ذَبيحة للرب، وأيضا مع يوسف حين أصبح مهما في مصر، دعا إخوته إلى منزله وأكلوا خبزا.

أهمية الخبز: بالنِسبة إلى الكتاب المُقَدس، من خلال الخُبز ينشأ عهد بين الاشخاص، إذًا الخبز هو رمز المعاهدة، تلك المعاهدة قد تطورت إلى زواج بين موسى وصفورة إبنة يترو.

"فولدت ابنا"

نتذكر من خلال تلك العبارة سفرِ التكوين عندما قال الله انموا وتكاثَروا فالله لا يزال يعمل إلى الان بواسطة بركته إنما في الخَفاء. بركة الله التي كانت تعمل مع شعبِه في أول سفرِ الخروج أصبحت الان تعمل مع موسى.

"فسماه جرشوم"

كلمة "جِر" في اللغة العبرانية تعني غَريب و"شوم" تعني هناك.

أهمية إسم جرشوم:

موسى كان في البلاط الفرعوني ولديه مركز مرموق، بدأ بِالخروج من هذا المُحيط؛ أول شيءٍ فَعله هو قَتل رجل مصري، إذًا لقد أخذَ قرارا مهما جِدا بأن يرى تعاسة شعبِه وما يعيشه من إضطهاد وقرر ثانِيةً الدفاع عن شعبِه بِقتله للمصري ثم ثالثًا قد تدخلَ بين رجلين عبرانِيين لكي تتم المُصالَحة بينهما وأخيرا تدخل مع بنات رعوئيل ضد الرعاة وخلصهن. نستنتج أن موسى يتدخل دائما مع الضعيف ضد القوي الذي يستغلّه؛ وكل قراراته كانت جريئة وخطرة وقد دفعت فرعون إلى قرار قتله.

من خلال تلك القرارات هناك تغيير في نمط حياة موسى، من شخص صاحب سلطة إلى شخص متشرد، هرب ووصل إلى قبيلَة حيث وجد ذاته ووجد دعوته الجَديدة. لذلك قال كُنت غريبا ولم أعد كذلك. الارض الغريبة التي كان نازِلاً فيها هي مصر. مصر مركز الحَضارة والترف قد تخلى عنها موسى من أجلِ قبيلَة تتنقل من مكان إلى آخر. إسم جرشوم هو ملخص لحياة موسى إلى الان.

أهل مديان هم على علاقة بإبراهيم أب الوعد.كان إبراهيم يعيش في أور في بِلاد ما بين النهرين وهو من البدو الذين يتنقلون من منطقة إلى أخرى، كذلك إسحق ويعقوب. موسى قد عاد إلى حياة الآباء إبراهيم، إسحق ويعقوب، لقد عاد إلى جذُورِه.

لاهوتيا، ترك ابراهيم أرضه وعشيرته ليذهب إلى أرضٍ سيريه إياها الله وهي أرض الميعاد، في المُقابِل موسى كان يعيش في أرضٍ مليئة بالخَيرات والنِعم ولكنه في الوقت نفسه لم يكن يشعر بِالاستقرار وكان يشعر بالغربة، إلى أن وجد ذاته في قَبيلة حيث لا شيء مؤمن. الاتكال على الله هو الذي يشعر الانسان بِالامان وليس الخَيرات.

كم شخصا قد تكلم مع موسى إلى الان؟

شخص واحد قد تكلم مع موسى وهو الرجل العبراني الذي قال له: من أقامك قاضيا علينا؛ من دون أن يناديه بِإسمه. إن الله هو أول من تكلم فعليا مع موسى.

الآيات ٢٣-٢٥

تلك الآيات ليست من أصل النص إنما قد أُدخلَت في وقت لاحق لهدف لاهوتي.

"وكان في هذه المدة الطويلة"

لقد مرت فترة من الوقت لا نعرف عنها شيئًا (التقليد يقول ٤٠ سنة)، ثم بعد تلك الفترة مات ملك مصر ورغم ذلك ما زالَ بنو إسرائيل يرزحون تحت نير العبودية ولم يتحرروا.

في بداية سفرِ الخُروج مرت أيضا فترة طويلة من بعد يوسف وقام ملكٌ جديد وسخر الشعب، والشعب كان ينمو ويتكاثر فبركة الله كانت معهم. أما هنا فلا يوجد ذكر للتكاثُر بل أصبح يوجد ذكر مباشر لله للمرة الاولى في سفرِ الخُروج (صعد صراخهم إلى الله)، لم يعد عمل الله خفيا. هناك ربط لما يعانيه الشعب، وللذي يعيشه موسى في مديان، بالآباء؛ فذكر الله عهده مع إبراهيم،إسحق ويعقوب.

إستعمل الكاتب أربعة أفعال إنسانية لله:

سمع، ذكر، نظر وعرف.

سمع: سمع الله أنين الشعب مما يعني أنّ الله يصغي وبالتالي هو ليس بعيدا.

ذَكر: جعل ما حدثَ قديما حاضرا وحيا. ذَكر الله عهده أي بدأ يحيي من جديد عهده مع إبراهيم، إسحق ويعقوب.

نظر: نظَر الله إلى بني إسرائيل كما فعل موسى حين خرج من البلاط المصري ورأى معاناة الشعب وتدخل، إنها نظرة حنية وتعاطُف.

عرف: الله عندما يعرف الانسان يصبح لديه سلطان عليه وأصبح هذا الانسان ملكه ويمعنى آخر قد عرف الله أن عليه التدخل.

الأب روجيه راجحة ر.م.م.